سلوة الحزين في موت البنين

تأليف: ابن أبي حجلة التلمساني

تحقيق: الدكتور مخيمر صالح

عرض ونقد: عبد المعين الملوحي

دمشق

تمهيد:

في عام ١٩٧٠ فُجعت بابنتي (ورود) فرثيتها ونشرت رثاءها في ديواني (قصيدتان: بهيرة وورود) ومنذ ذلك الحين شغلني أمران: أولهما البحث عن القصائد التي رثى بها الآباء المفجوعون أو الأمهات الثاكلات أبناءهم وبناتهم، وثانيهما جمع الكتب التي تتعلق بهذا الموضوع الإنساني.

وقد استطعت في المجال الأول جمع عدد غير قليل من القصائد وصنفتها قسمين:

١- المراثي من العصر الجاهلي حتى القرن الثامن الهجري.

٢- المراثي من القرن التاسع الهجري حتى اليوم.

وأصدرت دار الكنوز الأدبية في بيروت القسم الأول من الكتاب تحت عنوان (مراثي الآباء والأمهات للبنين والبنات)

وأنا أعكف الآن على إعداد القسم الثاني من الكتاب تمهيداً لنشره عما قريب.

أما الموضوع الثاني الذي شغلني وهو جمع الكتب التي تتعلق بمراثي الآباء والأمهات، فقد عثرت على كتابين مطبوعين:

١- برد الأكباد عند فقد الأولاد لابن ناصر الدين الدمشقي، وقد طبع في القاهرة، من دون ذكر تاريخ الطبع.

٢- سلوة الحزين في موت البنين لابن ابي حجلة التلمساني، وقد طبع في عمان من دون ذكر لتاريخ الطبع كذلك.

الكتاب الأول: برد الأكباد عند فقد الأولاد

من تأليف محمد بن عبد الله المعروف بابن ناصر الدين الدمشقي (المتوفى سنة ٨٤٣هـ) وقدم له عبد القادر بن شيبة الحمد (من علماء الأزهر) ويقع الكتاب في ٤٨ صفحة، وقام مقدم الكتاب – ويلاحظ أنه لم يقل عن نفسه إنه محقق الكتاب – بوضع ترجمة للمؤلف وقال فيها إنه ولد سنة ٧٧٧هـ بدمشق وتوفي في سنة ٨٤٢هـ. ويضع المقدم قائمة بالكتب التي ألفها المؤلف وبلغت ٣٦ كتاباً ثم قال وله عدة مصنفات أخر.

وجاء في التعريف بالكتاب ما يأتي:

(... فإنا لا نعلم كتاباً ألف فيه (في المواساة بفقد الأبناء) غير كتابين اثنين باسمين متشابهين، هما كتاب (تبريد حرارة الأكباد في الصبر على فقد الأولاد) للشيخ الكمال أبي حفص عمر بن أحمد بن العية الحلبي المتوفى سنة ٦٦٠ هـ، وثاني الكتابين هو (برد الأكباد عند فقد الأولاد) وهو هذا...) ويضيف التعريف: (... ولعل الكتاب الثاني مستفاد من الأول ومختصر منه، فقد ذكر صاحب كشف الظنون أنه مختصر).

ولا أعرف شيئاً عن وجود الكتاب الأول.

أما الكتاب الثاني الذي يعالج هذا الموضوع فهو كتاب (سلوة الحزين في موت البنين) لابن ابي حجلة التلمساني (٧٢٥-٧٧٦هـ) وقد حققه الدكتور مخيمر صالح من جامعة اليرموك. وهو موضوع الحديث.

سرني انضمام الدكتور إلى المهتمين بتراثنا العربي المجيد، ومحققيه –على قلتهم، وعكفت على قراءة الكتاب فوجدت المحقق الكريم قد بذل جهداً غير قليل في التحقيق وقدم لنا نصاً مقبولاً للكتاب، وبذل جهداً مشكوراً في تتبع الكتب التي تخصصت في موضوع المراثي وقال:

ومن هذه الكتب:

١. الفضل المبين في الصبر عند فقد الأولاد والبنين للصالحي (٧٨٥هـ).

٢. تسلية أهل المصائب للصالحي أيضاً.

٣. ارتياح الأكباد بأرباح فقد الأولاد، للسخاوي (٩٠٣هـ).

٤. تسلية الفؤاد عن الأولاد مجهول المؤلف.

٥. المقامة اللازوردية في موت الذرية للسيوطي (٩١١ هـ).

٦. فضل الجَلَد عند فقد الولد للسيوطي أيضاً.

وإذا أضفنا إليها الكتاب موضوع البحث

٧. سلوة الحزين في موت البنين للتلمساني (٧٧٦) والكتابين المذكورين من قبل:

٨. تبريد حرارة الأكباد في الصبر على فقد الأولاد لابن عدية (٦٦٠هـ).

٩. برد الأكباد عند فقد الأولاد للدمشقي (٨٤٢هـ).

نكون قد حصلنا على زاد وفير في هذا الموضوع؛ أضف إلى ذلك الكتب العامة في المراثي، ومنها مراثي الأولاد، وأشهرها:

١. كتاب التعازي والمراثي للمبرد طبع مجمع اللغة العربية في دمشق عام ١٩٤٦م.

٢. كتاب المراثي لليزيدي طبع وزارة الثقافة في دمشق عام ١٩٩١.

الصفة العامة في كتابي (سلوة الحزين) و(برد الأكباد) أنهما كتابان دينيان في الدرجة الأولى، يوردان ما جاء في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية الشريفة في الصبر والتجلد، ثم يذكران موقف السلف الصالح من الموت، ما ورد في البكاء والنياحة على الموتى، ولكن حظ كليهما من المراثي نفسها قليل جداً، وكأن المؤلفين يهمهما تسلية الحزين لا إيراد أشعار الآباء المفجوعين والأمهات الثاكلات.

الملاحظات على الكتاب

تنقسم هذه الملاحظات إلى قسمين:

القسم الأول في الأغلاط المطبعية الفاحشة في الكتاب، وقد بلغت حداً شوه الكتاب تشويهاً غير قليل، وأصبحت ذات خطر على الذين يريدون اقتباس الأبيات الواردة في هذا الكتاب.

القسم الثاني في الهفوات التي وقع فيها المحقق، وكان من الممكن أن يتجنبها.

الأخطاء المطبعية:

وأعتذر سلفاً عن عدم إيرادها كلها لكثرتها وسأكتفي بذكر بعضها:

وأولى هذه الأخطاء الخلط بين همزة الوصل وهمزة القطع مما لا سبيل إلى حصره. ومن هذه الأخطاء:

الصفحة	الخطأ	الصواب
٢٣	والأخ وأخيه	والأخ وأخوه
٢٤	أدخلهما	أدخلهم
٣٩	دفنتي	دفنت
	احتظرتي	احتظرت
	يقيكى	يقيك

وإذا كانت واردة في المخطوط كما وردت في المطبوع فقد كان من الواجب الإشارة إلى ورودها كذلك في المخطوط مع العلم أنها وردت صحيحة في المخطوطة (د).

٥٢	عنك	زائدة في المطبوع
٥٤	رحل	رجل (وردت مرات)
٥٥	يبالغ	يبلغ
٦٦	صعقت	ضعفت
٧٢	القنا	الفناء في بيت المتنبي
٧٢	تناءيا	تناءتا
٧٣	فاطم	فاطماً
٧٥	فبنوا العباس	فبنو العباس
٧٦	مال الليالي	ما لليالي
٧٨	قوله	قبله
٨١	هيا (بالباء المزدوجة)	هبا (بالباء المفردة)
٨١	أما تعلما	ألم تعلما
٨١	مفرداً	مفردٌ
٨١	يحيبُ	يجيبَ

٨١	فداؤُها	فداءها
٨٢	الهوى	الهوا

وإذا وردت كذلك في المخطوط فينبغي الإشارة إلى ذلك في الحاشية، والمعنى يتم بالهوا (ء) لا بالهوى.

٨٣	غيا	غما
٨٧	عريقُ	عريقِ
٨٨	الشجيع	الشحيح
٨٨	دلَّها	دلُّها
٨٨	ويؤتي	ويؤتى
٨٩	تلعد	لعلها (تعد)
٨٩	أرغمهم	أرغبهم
٨٩	ظلماً	ظلماء
٩٠	يهدي	يهذي
٩١	أخدعَ	أخدعُ
٩١	كفة الحائل	كفة الحابل

في بيت المتنبي (٣: ١٩٩)

فذي الدار أخونُ من مومس وأخدع من كفة الحابل

٩١	تفاني	تفانى
٩٢	ويدفن	يدفّن في بيت المتنبي (٣: ١٨٣)
٩٥	بتلكم	بتكلم
٩٦	تتباكا	نتباكى
٩٧	فلم يجيبه	فلم يجبه
٩٧	سال	سأل
٩٧	مقالُه	مقالِه
٩٧	لا	ألا
٩٨	يعلى	زيادة تحذف
٩٨	بغيه	بغيةٍ
٩٨	ومحالُ	ومحالِ
٩٨	خير	خيراً
١٠٣	توجدنا	لوجدنا (جواب لولا)
١٠٣	نقلو	نقول
١١٥	لتعزي	لتعزِّ
١١٨	المعزّي	المعزى[١]
١٢٢	ايكةٌ	أيكةً

(١) في بيتي أبي فراس:

لا بـــد مـــن فقـــد ومـــن فاقـــد فلـــيس بـــين النـــاس مـــن خالـــدِ

كـــن المعـــزى لا المعـــزى بـــه إن كـــان لا بـــد مـــن الواحـــدِ

نكتة طريفة رواها سليم سركيس في كتابه (غرائب المكتومجي) (الرقيب الصحفي التركي) ص٣٦ قال سليم: حذف المكتومجي كلمة خالد من قافية البيت الأول واستبدلها بكلمة (طائر) فقلت: لماذا فعلت ذلك، قال اسم والي بيروت (خالد)... ولا يجوز إيراد اسم الوالي في سبيل الحزن والتعزية...

١٢٤	قلتي	قلتِ
١٣٠	يجود	يحور
١٣٨	ونفلت	وثقلت
١٤٠	أخذا	لغدا(أبو تمام: الديوان ٣٨٠) واللام في جواب لو
١٤٠	بعد	بعده
١٤٠	تحتُها	تحتَها
١٤١	ذوئب	ذؤيت
١٤٢	عظاة	عِظات
١٤٦	أُربى	أربي
١٤٧	الساقيات	(بالقاف) السافيات (بالفاء)
١٤٨	تباين	تأبين
١٤٩	إذ	إذا

وأكتفي بهذا القدر المخيف من الأخطاء المطبعية.

هفوات التحقيق:

٥٤	أقول سوى	أقول شوى وفي اللسان الشوى: الهين من الأمر، وبه يتم معنى البيت، ولعلها خطيئة مطبعية.
٧٢	أورد المحقق بيت الأعمى التطيلي على هذا الشكل	

خَذا حدّثاني عَنْ فُلانٍ وفلان لَعلّي أرى باقٍ على الحَدَثان

والشطر الأول من البيت المكسور

والرواية الصحيحة

خُذا حدّثاني عَنْ فُلانٍ وفُلان (ديوان الأعمى ٢٢٤-٢٣١)

وبذلك يستقيم الشطر. جاء في لسان العرب (مادة فلل):

ومن خفيف هذا الباب فل: في قولهم للرجل يا فل

...

قال أبو النجم

في لجة أمسك فلاناً عن فل

٧٨ بيت عدي بن زيد اورده المحقق على هذا الشكل:

فألوت بعد (الصبا) والدبور

والشطر مكسور والرواية الصحيحة

فألوت به الصبا والدبور

٨٠ بيت قس بن ساعدة الإيادي، أورده المحقق على هذا الشكل:

لمّا رأيتُ مواراً للمو تِ ليسَ لها مَصادِر

وصحته

لمّا رايتُ مَواراً للموتِ ليسَ لَها مصادر

٩٠ وردت كلمة يابة في البيت:

تمر وتمضي يابة بعد يابة بالياء

وهي بالباء (بابة بعد بابة)

جاء في القاموس المحيط مادة (البوباة):

والباب والبابة في الحساب والحدود الغاية...

وهذا بابته أي شرطه

٩٦ أود المحقق بيت ابن نباتة

أمعهد سعدى بالعذيب سقاكما مليتَ الحيا حتّى يُبل صداكما

وليس لـ (مليت) معنى وهو ملث أي مطر دائم جاء في لسان العرب مادة لثث: وألثَّ المطر إلثاثاً أي دام أياماً لا يقلع...

٩٦ وأورد البيت الثاني لابن نباتة:

صدى كلما أشكو حجاباً كأنما خلقنا على أطلاله تتباكا

وليس لهذا البيت على هذا الشكل معنى وصحته (الديوان ٣٦٣)

صدى كلما أدعو أجاب كأننا خلقنا على أطلالها نتشاكى

وقد استدرك المحقق فقال في الحاشية: (مع اختلاف في بعض الكلمات) والاستدرك جيد لو كان للبيت كما ورد معنى.

٩٧ ورد بيت ابن النقيب

فيسمع من ذا ناطق وهو صامت ويبصر من ذا (حاضراً) وهو غائب

هذا ولم أجد البيتين في ديوان ابن النقيب طبع المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٩٦٣، والمعنى أن الإنسان يسمع الصدى ناطقاً، وهو صامت، ويبصر الخيال حاضراً، وصاحبه غائب.

٩٨ بيت الحمّامي الثاني ورد كما يأتي:

قد سمعت الصدا وهو جماد كل شيءٍ تقول ردَّ عليكا

والشطر الأول مكسور وحقه مد المقصور، وهو جائز للشاعر، فيكون الشطر:

قد سمعت الصداء وهو جماد

١٠٧ ورد بيتا البغدادي:

رأوا صبري وصمتي فاسترابوا وقالوا: ملَّ أو كَلَّ اللسان

فقلت لهم إذا نارٌ تلظّت وشبَّ وقودها زاد الدخانُ

وكلمة (زاد) في الشطر الثاني من البيت الثاني تخالف ما يقصده الشاعر، وما ورد في أول الفصل، قال العتبي عن إبراهيم: لا يكون البكاء إلا من فضل، فإذا اشتد الحزن ذهب البكاء . إذا فحق زاد أن تكون (زال) ليصح المعنى.

١١٨ وردت هذه الكلمة على هذا الشكل

... فإنه لم يغب عنك غيبةً (خيراً) لك فيها أجراً أعظم من هذه.

وهذه الكلمة مضطربة اضطراباً خطيراً وحقها أن تكون على هذا الشكل

(فإنه لم يغب عنك غيبة لك فيها أجر أعظم من هذه)

١٣٠ ورد هذا البيت:

وما المرءُ إلا كالشّهاب وضوئه يَجود رماداً بعد إذ هو ساطِعُ

أما (يجود) فخطأ مطبعي والصحيح (يحور) وقد أوردناه في الأخطاء المطبعية ولكن المهم أن المحقق نسب البيت في الحاشية رقم ٥٤ فقال: البيت للنابغة الجعدي انظر الديوان ص٨٨. والبيت ليس للنابغة الجعدي وليس في ديوانه وإنما هو حصراً للبيد بن أبي ربيعة في ديوانه ص ٨١ من قصيدته المشهورة:

يلينا وما تبلى النجوم الطوالعُ وتبقى الديار بعدنا والمصانع

١٤٢ ورد البيت:

بأبي وأمي من (عباب) حنوطه بيدي وفارقني بماء شبابه

وأظن (عباب) من الكلمات التي ندت على المحقق كما ذكر في مقدمته والكلمة هي (عبأتُ)، وعَبَأ كعبَّأ: هيأ وجهز.

وأغلب الظن أن البيتين لأبي عكرشة الضبي.

تلك هي ملاحظاتي على التحقيق، وأقول لإنصاف المحقق أن بعض هذه الملاحظات ربما كانت عائدة إلى الأخطاء المطبعية لا إلى هفوات التحقيق.

الخلاصة:

أرحب بالأخ الدكتور مخيمر صالح في جيش محققي التراث الصابرين، وأرجو أن ينجو تحقيقه من الأخطاء المطبعية أولاً ومن هفوات التحقيق ثانياً.